بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي

المؤتمر العام الرابع عشر

٢٢- ٢٥ شعبان ١٤٢٨هـ/ ٤- ٧ أيلول ٢٠٠٧م

إشراقات الحب في القرآن الكريم

الشيخ محمد حسن عسيران

عمّان - المملكة الأردنيّة الهاشميّة

إشراقات الحب في القرآن الكريم

الشيخ محمد حسن عسيران

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الاسراء: ٩]

﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾[لقمان: ١-٢-٣]

عندما نتكلم عن القرآن علينا أن نستضيء بأنواره و نشحذ كافة حواسنا لإدراكه. لأنه كتاب كريم جعله الله تعالى منارة قلب الإنسان و نبراس روحه و دفء فؤاده. فيه الدر الفاخر و العلم الذاخر لا يحيط به علم و لا يلم به فكر. تتلمس الأبحاث ضفافه و ترتشف الدراسات من روافده دونما التمكن من سبر أغواره. و كلما ازداد البحث و تعمقت الدراسة كلما ازداد النور توهجا و اشتد الفكر تألقا فتنبعث الإشراقات القرآنية تضيء عتمة الظلمة و تذيب صقيع النفوس الأمارة بالسوء. لذلك فالكلام عن القرآن هو كلام عن الإنسان، كلام عن هذا المزيج من الطين اللازج والنفحة الروحانية، عما يختلج قلبه الصغير من مشاعر وأحاسيس و عما يراود عقله الكبير من أفكار و أقاويل. هو كلام عن عربون حب و هدية مباركة أهداها الخالق للمخلوق. فجاءت كلمة طيبة تختصر المسافات بين السماء والأرض، بين المرئي و غير المرئي، بين الدنيا و الآخرة. و كلها موضوعات واسعة تبحر في لجج الوجود لترسي على شاطئ الحب الذي خصص له الكتاب العزيز مساحات واسعة و أعطاه قيمة عالية و رمزية و دلالة نحاول اليوم في بحثنا إلقاء شيء من الضوء على ما تيسر لنا منها إن شاء الله.

يتناول بحثنا في المحطة الأولى تعريف الحب، ثم في المحطة الثانية إشراقاته في القرآن الكريم قصة و رواية، رمزا و دلالة. لنخلص إلى الاستنتاج بأن الإسلام هو دين السلام القائم على الحب بشتى وجوهه و القرآن الكريم سراج الحب الوهاج و نور الله الذي يستضاء به.

الحب و تعريفه

الحب هو قوت القلوب و غذاء الأرواح. هو الحياة من حرمها يكون في عداد الأموات. هو النور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات. هو الشفاء الذي من عدمه حلت به الأسقام. و هو اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم و آلام.

الحب معنى من أوسع المعاني فهو أكبر من أن يعرف بكلمات أو يشار إليه بعبارات. هو علاقة بادىء ذي بدء بين خالق و مخلوق بين الله عز و جل و بين الإنسان. الحب كالنهر الذي تستمد منه القنوات ماءها ثم تتشعب كل قناة لتنساب جدولا رقراقا في قاموس البشرية و وجدانها الحي.

مما لا شك فيه أن حب الله تعالى للإنسان و حب الإنسان لله هما من أركان الايمان الراسخة و من إشراقات القرآن الكريم المتوهجة انطلاقا من عملية الخلق ثم الخلافة ثم الهداية و بعث الأنبياء و الرسل. خلق الله الإنسان و أوجده حبا له و رحمة. و في الحديث القدسي: "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق كي أعرف"

إن أول دافع لعملية الخلق هو حب من الباري تعالى. ففعل الحب يتوسط فعلي المعرفة (أن أعرف) (كي أعرف) ليضحي فعل الخلق المقرون بالحب قلب المعرفة النابض و محوره الرئيسي الذي يدور في فلك الحب الإلهي للبشر. في حين أن الله عز و جل و هو القادر على كل شيء و المريد لكل شيء لا راد لإرادته و لا عاصي لأمره قد عبر عن إيجاده للخلق بالحب و ليس بالأمر أو الإرادة أو ما شابه ذلك من أعمال بسط السلطان و النفوذ. ذاك أن الحب أجدى و أنجع نظرا لانعكاساته الإيجابية على المخلوق و آثاره الطيبة في نفسه. فالحب إذن هو في كيان الإنسان، و من علل وجوده و هو الذي يشتمل إضافة إلى عنصري العقل و الإرادة على مجموعة غرائز و ميول فطرية منها الروحاني العلوي ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم: ١٢]، ومنها الشهواني السفلي ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢].

وإذا ما طغى الجانب الروحاني رأينا النفس البشرية تحلق في فضاء الروح و تسمو إلى عالم القداسة شوقا منها و حبا لله و علاقاته و إلا فالنفس محكومة بالسقوط و الضياع لعدم تمكنها من ارتشاف إكسير الحب والارتواء بأمواهه لعدم سلوكها درب الحب لله علة وجودها و جوهر كيانها .

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٥-١٦] .

لقد وعد الله تعالى الإنسان المؤمن بحسن الجزاء مكافأة له على حسن أعماله و إيمانه مما في ذلك تعبير صريح عن علاقة الحب المتبادل بين الخالق و المخلوق بالأجر و الثواب من المعبود و بالطاعة و الإيمان من العبد . إن الإنسان حين يتنكر لمعاني الحب يتنكر لأسمى المشاعر الروحانية التي نص عليها القرآن العزيز و عمل على ترسيخها آية فآية في سوره حيث نقع على مئات الآيات التي تفوح بعبير الحب المنبثق من رياض القداسة فيحتل اسم الجلالة في أكثرها أو الضمير العائد إليه لغويا موقع الفاعل سلبا أو ايجابا رمزا أو تصريحا دلالة أو تلميحا . ﴿ إِن ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] .

ذلك كله إجلالا لشأن هذا الشعور النبيل و إعلاء لأثره لما يترتب عليه من مفاعيل في النفس البشرية التي أحب الله أن تكون فيضا من الأحاسيس السامية الموصلة إلى معرفته .

فإذا عرف الإنسان ربه أحبه و إذا أحبه تفانى في طاعته، فاستقام على أمره، وعمل الصالحات ابتغاء وجهه عندئذ يجد حلاوة الإيمان . إن الإنسان و قد عرف هذه المعرفة و ذاق هذه الحلاوة يصبح شغله الشاغل التقرب من المحبوب .

يقول الله تعالى فيما رواه النبي(ص) عن ربه في حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري "لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها و لئن سألني لأعطينه و لئن استعاذني لأعيذنه" .

إن الآيات القرآنية التي جاءت دالة على المحبة بينت محبة الله لعباده تفضلا و تكرما ودلت على وجوب محبة العباد لربهم تقربا و خشوعا .

و قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿ إِن رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود: ٩٠] . ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٤] .

الإسلام هو رسالة الحب، وعلى أساس هذه النظرة، نظرة الحب الإلهي، يتضح البعدان الأساسيان اللذان ذكرناهما في التركيب الإنساني: البعد الغرائزي الذي يشترك فيه الإنسان مع سائر الكائنات و البعد المعنوي و القيم الأخلاقية التي تشكل الأركان الأولية للشخصية الإنسانية و ما يميزه عن غيره ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧– ٨] .

يوجد بين هذين البعدين صراع مستمر فالجانب الحيواني يشد الإنسان إلى الأرض و الشهوة في حين أن الجانب المعنوي يشده إلى الكمالات و التعالي . و كل صراع خارجي في المجتمع و التاريخ ينبع من هذا الصراع الداخلي و به يتم تفسير الصراعات الإنسانية و ليس بوسائل الإنتاج كما تتخيله بعض الأنظمة المادية كالماركسية و الشيوعية و غيرها . فما تلك الأنظمة إلا صيغ تهيىء الإمكانات و القدرة و الفرص أما الذي يستخدمها و يستفيد منها هو الذي يخون أو يقوم بحق الأمانة . من هنا دور النظرة الكونية أي أن أي حل يجب أن يبدأ بالذات . و ما لم يحل الصراع في الداخل لا يتوقع للحل الظاهري أن يؤدي إلى نتيجة . فهناك علاقة حميمة بين الداخل و الخارج تفسر التغيير و الحركة الإنسانية ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الأنفال: ٥٣] .

و طبيعي أن يتحرك الإنسان في هذا الصراع بدافع من ذلك القبس الإلهي الذي حباه الله إياه من خلال الحب النوراني الذي أودعه في قلبه و به شرح صدره ليكون خليفة له على الأرض يجسد الحب بكل صوره بالتصريح تارة و بالرمز و الدلالة تارة أخرى، رواية و قصة .

الخلافة الإلهية حب وأمانة

بعد خلق السموات و الأرض أراد الله تعالى إعمار الأرض بالبشر الذين يعبدونه محبين مختارين ليرفعهم فوق الملائكة المقربين لأنه أراد سبحانه و تعالى أن يعبدوه باختيارهم و حبا له. فجعل الله تعالى الإنسان خليفة له على الأرض تأكيدا منه و إصرارا على حبه و تفضيله على سائر مخلوقاته.

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة: ٣٥].

و قال أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

فكان الإنسان خليفة الله على الأرض و حمل أمانة خلافة الله وهي الحب لله و السير في طريقه. ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الاحزاب: ٧٢].

يستفاد من ذلك أن الإنسان هو محور العلاقة بين الله و سائر مخلوقاته. و إذا كان الله عز وجل قد اختصه بالخلافة حبا منه له فقد كرمه و خصه بما لم يخص به غيره و هنا نشير إلى درجة من الحب أسمى و أشد حين اختص الله الإنسان بالعقل. ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وفي حديث قدسي "أول ما أودع الله الإنسان أودعه العقل و أمره بالإقبال و الإدبار فأقبل و أدبر فقال: و عزتي و جلالي بك أثيب و بك أعاقب و سماه العقل و أودعه الإنسان لتكون المعرفة و العبادة المقرونتان بالحب بمحض العقل و الإرادة نظرا للدور الكبير و الخطير الذي أوكله الله للإنسان،

و هو الخلافة، وقد خط الله عز و جل طريقها و بين ملامحها عبر الأنبياء و الرسل الذين بعثهم الله حبا للبشر و هداية لهم.

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[فاطر: ٢٤]

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [المائدة: ١٩]

﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ ﴾[المائدة: ١٩]

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا ﴾ [المائدة: ٢٠].

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾[هود: ٦١].

هناك أيضا في الكتاب العزيز الكثير من القصص و الرموز إذا ما حاولنا قراءتها واستقاء دلالتها شرعت مصراعيها على رسالة الحب على اختلاف معانيه.

الحب قصة ورمز

نبدأ أولا" بالرموز و الإشارات داخل الأسرة . لقد احتوى القرآن على الصور الجينية للحياة الأسروية السليمة.

قال الله تعالى في سورة النساء :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾ [النساء:١].

الرمز يكمن في التعبير "نفس واحدة" تأكيدا من الباري تعالى على الارتقاء بمشاعر الحب حتى يذوب الواحد بالآخر. فيصبح كلا الزوجين نفساً واحدة. يهم الواحد ما يهم

الآخر يفرحه ما يفرح الآخر و يشجيه ما يشجي الآخر . إلى ما هناك من إشارات إلى وحدة المسار و المصير بين الزوج و زوجه نتيجة ذلك الشعور النبيل و الرباط المقدس الذي يربط بينهما . و في ذلك أية للناس و دعوة إلى التقوى . فالله أوجد الإنسان من نفس واحدة حيث يقول أيضا في سورة الروم :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] .

هنا يأتي السكن رمزا للطمأنينة النابعة من المودة و الرحمة التي تعتبر أساس كل زواج مكلل بالنجاح. و قد وردت المودة و الرحمة لإنجاح الرباط المقدس و بناء المؤسسة الأسروية لما يتوجب من تضحية و تفان في العلاقة بين الزوجين أولاً ثم بينهما و بين الأولاد تالياً .

وهذه قصة يعقوب (ع) الذي أشجاه غياب ولده يوسف إشارة ثانية إلى حب نبيل يعيشه الوالد تجاه ولده الذي اختصه و أخاه بالمزيد من الحب كما وأنه كان يحب سائر أبنائه .

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ [يوسف: ٨] .

لم يثنِ يعقوب طول البعاد ، و لم يفقده الأمل ، فجذوة الحب الأبوي المتأججة في قلب يعقوب أضاءت بصره ثانية حين أتاه البشير بقميص ولده: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: ٩٦] .

كذلك نستشرق عاطفة الأمومة في قصة أم موسى حين أشارت إليها العناية الإلهية أن تضع وليدها في صندوق و أن تلقيه في اليم إنقاذاً لحياته . بعدها يثيبها الله و يعيد إليها ولدها ليكون لها مصدر أنس و رغد .

﴿ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [طه: ٤٠]

أما بالنسبة للأبناء فالكتاب العزيز ينص على حب الوالدين ويدعو الأبناء إلى حسن معاملتهما و توفير كامل الاحترام و الأمن لهما حتى ولو كانا على غير دين الإسلام.

يقول عزَ وجل: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الاسراء: ٢٤].

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾ [الاسراء: ٢٣].

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾ [العنكبوت: ٨].

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢– ١٠٥].

استسلم إسماعيل لأبيه لشدة حبه لله، فأتت الرحمة الإلهية و كللت هذه الطاعة و ذاك الحب بحب الله للإنسان، فأعفاه الله من هذه المهمة الصعبة و جزاه جزاء المحسنين.

الإسلام العظيم العارف بالحقوق أوجب على الإنسان طاعة الوالدين و محبتهم و البر بهم. فهذا عيسى ابن مريم كما أنبأنا القرآن الكريم على لسانه يقول: ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴾ [مريم: ٣٢].

و أما حب الأخوة بعضهم لبعض فخصص له القرآن الكريم حيزاً كبيراً في حياة الإنسان. فدعا إليه طمأنة لقلوب الأخوة و شد أواصر المحبة و جعلها الرابط الأساسي في المجتمع. فلما بعث الله موسى و ناداه من جانب الطور الأيمن آثر أخاه هارون في كل الخير و طلب من الله أن يكون شريكاً له في النبوة. فقال عزَمن قائل: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [طه: ٣٢].

فالعائلة حسب المفهوم القرآني حصيلة اجتماعية يرسم أطرها الدين الحنيف و يلون ملامحها بألوان المحبة و الرحمة مما يخفف عنها الضغط الذي تتعرض له العائلة في مجتمعات لا تقوم على حب الله و السير في ركابه حيث تظهر الأمراض النفسية و الجسدية، و تتزعزع الأواصر العائلية مما يؤدي إلى تفكك الأسرة و ازدياد حالات الطلاق و ظهور الفوضى في العلاقة بين الأبناء و الآباء . فالحب يزيل مشكلة الغربة بين الأجيال و يضيق الهوة فيما بينها بفضل مشاعر التراحم و التواد التي تعشعش في قلوبهم المشبعة حباً لله .

حب الآخر والتأليف بين قلوب الأمة

الحب هو القدرة على السير التكاملي الاختياري بهدى من ذلك النور الإلهي، وهو حافظ الأمانة حامي الرسالة و منجز الانتصارات . ففي بدر قاوم المسلمون بهذا السلاح فنصرهم الله . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] .

وانهزم المسلمون حين تخلوا عن المحبة و الإيثار بينهم، ففي حنين قاوموا بغير هذا السلاح سلاح المحبة و الإيثار . ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥] .

فالحب أسمى معاني معرفة الواقع الإنساني من حيث المقام و المسؤولية في مستوى متساو فالبشر أعضاء لجسم واحد، وكل الخلق عبيد الله متحابون متوادون في الله عزَ و جل .

هكذا نجد الحب من أركان الدعوة المحمدية يصر عليه القرآن الكريم و يدعو إليه الرسول الأعظم (ص) في كل موقع يكون فيه المسلم على علاقة مع الآخر، مسلما كان أم غير مسلم . ذاك أن المسلم حين تمتلئ نفسه بالحب الإلهي العميق المتجذر في ذاته و المتغلغل في كيانه يعي كل الوعي أهمية التفاعل مع الآخر و ضرورة إرساء علاقات الود و التفاهم معه . فالبشر جميعا أخوانه في الخلق، و هم جميعاً أنسباؤه و شركاؤه في هذا النبع .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

البشر كافة إخوة في دين الله، هذه هي حقيقة القربى و هذا هو موضع الاتصال بالأخوة العامة المقدسة، بجمعهم بادئ ذي بدء حب الله الذي خلقهم . فالحب حين يكون له هذا العمق لارتباطه بجذور الفطرة، و هذا الشمول لاتصاله بنظم الطبيعة و هذا الخلود لاستقائه من نبع التكوين الإلهي ثم حين يكتسب هذه القوة و هذه القداسة يكون صمام الأمان للمجتمع و حصنه الحصين في وجه الأنواء التي قد تهب عليه و تعصف به .

لذلك نرى القرآن الكريم قد ألف بين قلوب البشر المسلمين و غير المسلمين فكانت الآيات التي تدعي إلى التحابب و نبذ الأحقاد و إنشاء العلاقات البنَاءة بين أفراد المجتمع على اختلاف ألوانهم و مذاهبهم و مللهم .

يقول الله تعالى :﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٦٣] .

و يقول الإمام علي (ع) :"فلا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم . فهما اثنان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق" .

ذاك أن دعوة القرآن إلى الاعتراف بسائر الأديان و احترامها دليل قطعي على كون الإسلام رسالة محبة و سلام هو دعوة إلى قبول الآخر على دينه و معتقداته و كل خصوصياته .

إن الخطاب القرآني يتوجه في الكثير من آياته إلى البشر جميعاً . يؤكد على الإخاء الإنساني و التعايش السلمي :

﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٤] .

فالإسلام يفرض التواد و التعارف مع المختلفين معه طالما هم يسالمون المسلمين و يعيشون معهم في جوار طيب .

يقول الله تعالى :﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]

وهكذا تأتي تلك الإشراقات القرآنية أنوارا ربانية تضيء بصر وبصيرة من أعشت قلوبهم عتمة الجهل والعصبية ، وتؤكد بكل انفتاح الدعوة الى التعايش والتحاب .

و ما ينبغي التنبه إليه هو الإشارة إلى ما تبثه بعض وسائل الإعلام الغربي من أكاذيب و افتراءات و إشاعات حول الإسلام و المسلمين وإظهارهم زورا في صورة الأمم المتخلفة المتناحرة، محاولة لصق تهمة الإرهاب بأشدِ الأديان سلما وسلاما و أمنا الدين الإسلامي الحنيف و كتابه العزيز الكريم، قال تعالى:

﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

والحمد لله لرب العالمين .